شمول الدعوة الإسلامية لأنظمة الحياة

(دراسة وصفية تحليلية)

د. يوسف محمد النور حامد

الأستاذ المشارك في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية الدعوة وأصول الدين

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

شمول الدعوة الإسلامية لأنظمة الحياة، دراسة وصفية تحليلية.

يوسف محمد النور حامد.
القسم: الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية.
(البريد الإلكتروني): Omda3@outlook.com

ملخص:

إن الدعوة إلى الله عز وجل هي مهمة الرسل والأنبياء الذين هم خير عباد الله وسفراؤه إلى خلقه ، وهي أيضاً مهمة خلفاء الرسل وورثتهم من العلماء العاملين والدعاة المخلصين الصادقين، وهي أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى، وبعد التزام منهجه القويم لأن ثمرتها هداية الناس إلى الحق وتحبيبهم إلى الخير، وإخراجهم من الظلمات إلى النور قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فصلت :٣٣. والدعوة إلى الله عز وجل هي الدعوة إلى دينه وإتباع هداه وتحكيم منهجه في الأرض، وإفراده تعالى بالوحدانية والعبادة، والاستعانة والطاعة، والبراءة من كل الطواغيت التي تطاع من دون الله تعالى؛ لهذا كان لابد لهذه الدعوة العظيمة الشاملة من دعاة أقوياء ، وهداة أشداء ، ومبلغين صابرين ، يتناسبون مع عظمتها وشمولها. وعلى ضوء ما تقدم تركز جهد الباحث على رصد المعلومات الدالة على شمولية هذه الدعوة لكل مناحي الحياة.

الكلمات المفتاحية: شمول، الدعوة، الإسلامية، أنظمة، الحياة، وصفية.

Comprehensiveness of the Islamic call to life systems, descriptive and analytical study.

Youssef Mohamed El-Nour Hamed
Department: Dawa and Islamic Culture, College of Dawa and Fundamentals of Religion, Islamic University of Medina, Saudi Arabia.
(Email): Omda3@outlook.com

Abstract:

The call to God Almighty is the mission of the messengers and the prophets who are the best servants of God and his ambassadors to his creation, and it is also the task of the successors of the Apostles and their heirs from sincere scholars and sincere preachers, and it is the best work after believing in God Almighty, and after the commitment of his righteous approach because its fruit is the guidance of people to the truth And beloving them to goodness, and taking them out of darkness into light. The Almighty said: (It is better than those who say to God and do good and said that I am a Muslim). Chapter: 33. And the call to God Almighty is the call to his religion and to follow his goals and arbitrate his method on the ground, and His Almighty singularity on the Oneness and Worship, the use of obedience and innocence from all the tyrants that are obeyed without God Almighty; for this had to be this great comprehensive call of strong advocates, strong guides, and informants Sabreen, proportional to its greatness and comprehensiveness. In light of the foregoing, the researcher's effort focused on monitoring the information indicating the comprehensiveness of this call for all aspects of life.

Key words: comprehensiveness, call, Islamic, systems, life, descriptive.

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبي الرحمات المؤيد بالمعجزات الظاهرات ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الجمع والممات .

أما بعد .....

فقد تميزت الدعوة الإسلامية عن الدعوات السابقة بشمولها ، بكل ما للشمول من معان ودلالات ، زمانية ومكانية ، ونظم حياة البشرية جمعاء مما دفع بأحد العلماء إلى التعبير عن ذلك الشمول بقوله : (إنها الرسالة التي امتدت طولاً حتى شملت آباد الزمن ، وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم ، وامتدت عمقاً حتى استوعبت شئون الدنيا والآخرة)[1] .

فالإسلام منهج وخطة عمل ، يتلاءم مع الطبيعة البشرية في خصائصها وإمكانياتها سواء كانت هذه الطبيعة في الفرد أو الأسرة أو في المجتمع .

وقد شملت أنظمة الإسلام نواحي الحياة المختلفة ، ومتطلبات المجتمع الإنساني فلم تقتصر تعاليمها على النواحي الاعتقادية والتعبدية فقط ، وإنما امتدت لتشمل النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية ونظم التربية والقضاء والأخلاق .

وقد استهدفت تعاليمها إقامة حياة إنسانية سامية يتحرر فيها العقل البشري من الخرافات والأوهام . وجاءت هذه التعاليم موافقة لطبيعة الدعوة الإسلامية الخالدة الخاتمة ، فلابد لها ، والأمر هكذا أن تشمل

---

(١) الخصائص العامة للإسلام ، يوسف القرضاوي ، القاهرة ، مكتبة وهبه ، ص٩٩ .

تعاليمها جميع أنظمة الحياة إلى أن تقوم الساعة .

الكلمات المفتاحية :

١/ الشمول : وهي احتواء هذا الدين لكل مناحي الحياة .

٢/ الدعوية : من الدعوة إلى الله تعالى .

٣/ الأنظمة : وهي ترتيب الحياة بنظام متسق من الله سبحانه وتعالى .

٤/ الحياة : هي حياة الناس عامة بما تشمله معاملاتهم كلها .

key words :

1 / Inclusiveness: It contains this debt for all walks of life.

2 / Da`wah: From the call to God Almighty.

3 / Regulations: It is the arrangement of life in a consistent system from God Almighty.

4 / Life: It is the life of people in general, including all their transactions.

سبب اختيار الموضوع:

كشف وبيان شمول الدعوة الإسلامية لأنظمة الحياة جميعها إلى أن تقوم الساعة . ولذا يتمحور هذا البحث حول هذه المعاني السامية لشـــمول الإسلام لأنظمة الحياة جميعها .

منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي، هذا بجانب المنهج التحليلـــي أحياناً ، وايراد ما توضحه الدعوة الإسلامية وتبيين أنها شاملة لكل أنظمة الحياة في كل زمان ومكان .

الدراسات السابقة : بالبحث في المكتبات الوطنية ومكتبات الجامعات والوسائط الالكترونية لم يعثر الباحث على دراسات سابقة تعنى بشمول الدعوة الإسلامية لأنظمة الحياة .

خطة البحث:

اشتمل البحث على مقدمة ثلاثة مباحث وخاتمة .

المبحث الأول: مفهوم الدعوة والشمول :

أولاً: مفهوم الدعوة لغةً واصطلاحاً .

ثانياً : مفهوم الشمول لغةً واصطلاحاً .

المبحث الثاني : جوانب الشمول في الإسلام .

المبحث الثالث : الشمول في دعائم المجتمع الإسلامي .

الخاتمة : وبها النتائج والتوصيات .

ثبت بالمصادر والمراجع .

المبحث الأول

مفهوم الدعوة والشمول

المطلب الأول

مفهوم الدعوة لغةً واصطلاحاً

جاء في القاموس المحيط : الدعاء : الرغبة إلى الله تعالى ، ولهم دعوة على غيرهم أي يبدأ بهم في الدعاء ، وتداعوا عليه : تجمعوا . ودعاه : ساقه ، والنبي ﷺ داعي الله . ويطلق على المؤذن ، وداعية اللبن: بقيته التي تدعو سائره(١)

وجاء في معجم مقياس اللغة : أن (د.ع.و) الحرف المعتل أصل واحد، ومعناه أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك ، تقول دعوت أدعو دعاء(٢) .

وقال صاحب لسان العرب : الدعاة قوم يدعون الناس إلى بيعة هدى أو ضلالة ، وأحدهم داع ، ورجل داعية ، إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين(٣) .

وعلى ضوء ما تقدم فإن كلمة الدعوة وما اشتق منها من معاني كثيرة متقاربة في مضمونها تدور حول :-

- الدعاء أو السؤال والطلب والرغبة لله .
- الحث .

---

(١) الفيروز أبادي ، ط٢ ، دار الجيل ، بيروت ، مج٤ ، ص٣٢٩ .
(٢) ابن فارس ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، مج٢ ، ص٢٧٩ .
(٣) ابن منظور ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، مج٤ ، ص٣٦١ .

- السوق من ساق .
- الآذان والنداء والإمالة .
- الانتساب .
- الزعم .
- الاجتماع .
- الصياح والنداء .....إلخ .

وانطلاقاً من هذه المعاني التي أمدنا بها التحليل اللغوي ، واستناداً إلى المحاولات العديدة ، وانسجاماً مع مقاصد البحث وأهدافه ، فإنه يمكننا أن نعرف الدعوة اصطلاحاً بأنها :-

ذلك الجهد المنهجي المنظم الهادف إلى تعريف الناس بحقيقة الإسلام لإحداث تغيير جذري متوازن في حياتهم على طريق الوفاء بواجبات الاستخلاف ابتغاء مرضاة الله تعالى والفوز بما ادخره لعباده الصالحين في عالم الآخرة ، وينبغي أن نؤكد هنا ملاحظة مهمة جداً وهي : أن الدعوة التي نعنيها هنا ويدور حولها مجمل البحث ، تشمل كما هو واضح التعريف في أمرين أساسيين هما وجهان لحقيقة واحدة :-

الأول : الدعوة كمضمون رسالي ، أي كدين يبلغ ويلتزم به .

الثاني : الدعوة كعملية تبليغ لهذا المضمون الرسالي ، ومحاولة لتعريف الناس به وحركة جهاد من أجل البناء .

المطلب الثاني
مفهوم الشمول لغةً واصطلاحاً

قال ابن منظور : الشمل : الاجتماع ، يقال : جمع الله شملك. وفي حديث الدعاء : أسألك رحمة تجمع بها شملي . ويقال : شمل بالتحريك ... وجمع الله شملهم أي ما تشتت من أمرهم(١) .

واشتمل بثوبه إذا تلفف . وأشملهم شراً أي عمهم به ، وأمر شامل أي عام ، واشتمل عليه الأمر : أي أحاط به(٢) . وأشتمل بثوبه : أداره على جسده كله حتى لا يخرج منه يده . وقالوا اشتمل الصماء : وهو أن يراد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر .

وفي أساس البلاغة(٣) : شمل : هو خبر شامل ، وشملهم الخبر شمولاً، وأنا مشمول بنعمة الله تعالى . وجمع الله شملهم وهو كريم الشمائل . والرحم يشمل على الولد .

والشموليّة لغةً : من الفعل الثلاثي شَمِلَ ، ويشير اللفظ إلى الاحتواء والتضمين ، نقول شمل الشيء أي تضمنه وعمّه ، وتشير شموليّة الإسلام: إلى تضمّن الرسالة الإسلامية واحتوائها على كل ما يدخل ضمن حاجة واهتمام الإنسان ، ويشترط حُسن فهمها واستيعاب ما جاءت به الشريعة الإسلامية ، ومقاصدها ومفرداتها .

أما اصطلاحاً : فيقصد بالشمول أن الشريعة الإسلامية الغراء اشتملت

---

(١) لسان العرب ، مرجع سابق ، مج٧ ، ص٢٠٤ .
(٣) المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس ، ط٢ ، مج١ ، ص٤٩٥ .
(٣) الزمخشري ، دار صادر ، بيروت ، ص٣٣٨ .

على نظم وأحكام وتشريعات في كل جانب من جوانب التكوين والبناء والإصلاح ، وفي كل ناحية من نواحي المجتمع والحياة[١] .

وكل ذلك يأتي في مبادئ دقيقة محكمة ، وفي تشريعات ربانية خالدة ، تعطي ولا تأخذ ، وتجمع ولا تفرق ، وتؤلف ولا تبدد ، وتبني ولا تهدم ، تنزيل من حكيم حميد .

والدعوة الإسلامية على هذا الأساس دعوة شمولية في أهدافها ومجالاتها ومناهج عملها ، تستوعب الحركة الإنسانية بصورة عميقة وشاملة ، من خلال ما تؤسسه من مرجعية نظرية شاملة ، يتم في ضوئها تفسير التجربة التاريخية الإنسانية ، وتحليل الواقع ومباشرة الارتقاء به إلى المستوى المطلوب الممكن .

ويمكن تعريف الشمول أيضاً بأنه : (اللفظ الموضوع وضعاً واحداً للدلالة على جميع ما يصلح له من الأفراد على سبيل الشمول من غير حصر في كمية معينة أو عدد معين)[٢] . وذلك كلفظ السارق والسارقة في قوله تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ المائدة : ٣٨ .

كما يمكننا تعريف شموليّة الإسلام بأنه نظام ممنهج متكامل يهتم بشؤون الحياة بمختلف مجالاتها ، ويؤدي دوراً مهماً في تنظيم الحياة

---

(١) هذه الدعوة ما طبيعتها ، عبد الله ناصح علوان ، ط١ ، دار السلام بيروت ، ١٩٨٥م ، ص٣٠ .

(٢) أصول السرخسي ، الإمام السرخسي ، مج١ ، ص١٢٥ .

العقائدية من الناحية الدينية ، والمتمثلة في العلاقة بين العبد وربه . أرسل الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز إلى العالمين مبيناً فيه كل ما يحتاجه الإنسان في حياته اليومية والعملية ، إذ يضع القرآن الكريم بين يدي المسلم كافة القواعد الكلية والخطوط الرئيسية بالإضافة إلى احتوائه على مرجعيات ومعايير ذات علاقة بحياة الإنسان في الدنيا ، ويتطرّق إلى أدقّ التفاصيل في حياتنا ، كما تعبر شموليّة الإسلام وفق ما جاء بالقرآن الكريم أن هذا الكتاب يتناسب مع كافة الأزمان والأماكن في الأرض . هذا وقد جاء الإسلام رحمة إلهية للعالمين ؛ ليضم تحت رايته البشرية المجتمعات المسلمة وغير المسلمة ، إذ تنزل رحمة الله سبحانه وتعالى على من آمن ومن لم يؤمن من خلال هذ الدين القيّم ، ويشار إلى أن الدين الإسلامي قد وضّح كافة الأحكام والتشريعات بما فيها من أوامر ونواهٍ ، يجب على الإنسان الانقياد لها ليحظى بالحماية الإلهية وتحسين جودة حياته .

فإنه لفظ عام شامل لأنه موضوع وضعاً واحداً ليدل على شمول كل سارق وسارقة من غير حصر في عدد معين ، فكل من صدق عليه أنه سارق قطعت يده . وعلى هذا قس .

المبحث الثاني
جوانب الشمول في الإسلام
المطلب الأول
تنظيم الإسلام للجانب السياسي

نظم الإسلام الجوانب السياسية الداخلية والخارجية على السواء ، ووضع لها أدق الأنظمة من أجل إسعاد المجتمع ، وتوفير الاستقرار له .

فالحكم في الإسلام هو قضاء ومسؤولية ، ورئاسة الدولة في المجتمع المسلم لا تمنح صاحبها حقاً غير عادي فوق حقوق أي فرد من جمهور المواطنين ، ولا تعطيه قداسة أو حصانة إلهية ، وإنما تجعله واحداً منهم غير أنه أثقلهم حملاً .

روي أن أبا بكر الصديق ﷺ لما تولى الخلافة خطب في الناس قائلاً : ((إني وليت عليكم ولست بخيركم))[1] . وعمر بن عبد العزيز يقول : ((لست بخيركم ، إنما أنا رجل منكم ، غير أني أثقلكم حملاً))[2] .

هكذا تتضح مسؤولية الحاكم في الإسلام كأمين على دين الله ، فالحكم في الإسلام يختلف عن الأحكام الوضعية التي تعتمد على القوانين البشرية التي تفرض إرادتها على الناس بالقسر والقهر ، ذلك أنه ولاية عامة للمجتمع المسلم ، تنفذ به حدود الشرع ، ويسير وفق تعاليم الكتاب والسنة. كما أوجب الإسلام على الحاكم أن يسند الأمور إلى من هو أهل لها ، ولا

---

(١) الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، ج٢ ، ص٣٣٢ .
(٢) خلفاء الرسول ، خالد محمد خالد ، ص٧٠٨ .

يحابي أحداً لقرابته ، وإلا كان حسابه عند الله شديداً .

يقول سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ : (من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين)[١] .

ويشمل الإسلام أيضاً وهو دين القوة والعزة ، أمر بإعداد العدة وتكوين القوة لمواجهة أعداء الله في كل زمان ومكان ، من أجل كسر شوكتهم وإرهابهم ، لكي لا تسول لهم أنفسهم الاعتداء على المسلمين . قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ الأنفال : ٦٠ .

والنبي ﷺ يقول : ((ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي))[٢] .

فالإسلام حث على إعداد القوة المعنوية ، التي تقوم على الترابط والتآلف والتعاون ، والقوة المادية التي تصون البلاد وتحمي العباد .

وما أم تخلى المسلمون عن هذا المبدأ الرباني حتى طمع فيهم عدوهم فغزاهم في عقر دارهم ، واحتل أرضهم وشردهم من أوطانهم .

كما أن على الحاكم أن يأخذ على يد المحكوم ، ويقتص من الظالم للمظلوم ، ويقيم حدود الله في الأرض ، حتى يشيع الأمن والاستقرار في البلاد .

ويشمل الإسلام النظام القضائي والذي هو عبارة عن مجموعة القواعد

---

(١) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، ابن تيمية ، ص٤٧ .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، ج٣ ، ص١٥٢٢ .

والأحكام التي توصل إلى حماية حقوق الناس ، وفصل الخصومات ، وقطع المنازعات من بينهم ، وقد بين الإسلام دستور القضاء والتفاوض ، وما يجب على القاضي أن يسلكه في النظر في الدعوى ، وفي الحكم الذي يصدره بشأنها . فأمر بالمساواة بين المتخاصمين ، واستماع إليهم ، قبل الفصل في النزاع .

يقول عليه أفضل الصلاة والسلام : ((من ابتلي بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهم في لحظه وإشارته ومقعده ومجلسه))[١] . ويقول لعلي بن أبي طالب ﷺ : ((إذا تقدم إليك خصمان فلا تسمع كلام الأول حتى تسمع كلام الآخر فسوف ترى كيف تقضي))[٢] .

ولأهمية القضاء أولاه المسلمون عناية فائقة ، ووضعوا له أسسه وقواعده خاصة عندما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ، وهذا عمر بن الخطاب ﷺ يبين تلك القواعد في كتابه الذي أرسله إلى أبي موسى الأشعري ﷺ الذي قرر فيه الأصول التالية :-

١- على القاضي أن يتبع في قضائه الكتاب والسنة .

٢- أن يقيس ما جاء من الحوادث التي لم ينص عليها الكتاب والسنة على الحوادث التي ورد فيها نصوص .

٣- العدل بين الخصوم من جميع الوجوه .

٤- التروي في الأحكام ، وسعة الصدر .

---

(١) سنن الدار قطني ، للإمام علي بن عمر الدار قطني ، كتاب الأقضية والأحكام ، ج٤، ص٢٠٥ .

(٢) المسند ، للإمام أحمد بن حنبل ، ج١ ، ص٩٠ .

٥- الصلح بين المتخاصمين .

٦- عدم الوثوق بشهادة غير العدول[١] .

وأيضاً اشتمل الإسلام واهتم بالسياسة الخارجية التي تحدد علاقة الدولة الإسلامية مع الدول الأخرى ، وقد رسم الإسلام هذه السياسة على النحو التالي :-

أولاً : تنظيم الناحية الجهادية : ولها أثرها في رد العدوان ودفع الظلم عن المسلمين إذا وقع من ذلك شيء بهم .

ثانياً : تنظيم العلاقات الدولية : وعلى هذا يقيم الإسلام علاقاته مع الآخرين على أساس التعاون والبر والرحمة ، قال تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ الممتحنة:٨.

وقد استعمل الإسلام المعاهدات واتخذها وسيلة لتنظيم العلاقات بين دولته وبين الدول الأخرى ، وهي وسيلة نافعة لحفظ المواثيق ، وإقرار السلام ، وفض الخلافات بين الدول ، ولقد حافظ الإسلام على العهود واعتبرها رباطاً مقدساً ، أحاطته الشريعة بكافة قيود الاحترام والتقديس ،

---

(١) عمر بن الخطاب أصول السياسة والإدارة الحديثة ، سليمان محمد الطماوي ، ط٢ ، دار الفكر ، القاهرة ، ص٣٢٩ .

وقد دلت الآيات القرآنية على ذلك ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ المائدة : ١ .

تلك هي أخلاق الإسلام ومعاملاته ، صدق في الحديث ، ووفاء بالعهد ، فلم يعرف التاريخ عن المسلمين أنهم نقضوا عهداً أو ردوا صلحاً – لأن كتابهم يدعوهم إلى الوفاء بالعهد – بخلاف الكفر وأهله الذين وصفهم الله تعالى في قوله : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ ٥٥ ﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿ ٥٦ ﴾ ﴾ الأنفال : ٥٥،٥٦ .

المطلب الثاني

أهمية بناء المجتمع المسلم

المجتمع هو الأساس الذي تقوم عليه الدولة ، وتتكون منه الأمة ، فإذا أحكم بناؤه ورسخت دعائمه ، على أسس قوية ، ظلت دولته قوية ثابتة ... وأفراد الأمة هم لبنات هذا البناء ، فإذا كانت اللبنات سليمة بقى المجتمع سليماً قوياً .

من أجل ذلك وجه الإسلام العناية بالفرد أولاً ، لأنه اللبنة التي يبنى عليها المجتمع ، ثم وجه العناية إلى المجتمع بما فيه من أفراد وجماعات ، وإذا كان المجتمع ضرورياً للإنسان ، فإن الأنظمة التي تسير هذا المجتمع

وترسم خطاه ، وتوجه أفراده وجماعاته ضرورية أيضاً . وإلا صار المجتمع مجتمعاً حيوانياً تسيطر عليه الشهوات ، وتسيره الأهواء ، لهذا كان لابد من النظام الذي يحدد سير المجتمع ، ويضع الضوابط العامة التي يسير عليها الناس في سلوكهم كي تتسم الحياة بالأمن والاستقرار . وإذا كان النظام ضرورياً لبناء المجتمع ، فلابد أن تكون لهذا النظام قواعد ثابتة، وأسس متينة ، يقوم عليها صلاح المجتمع ، لأن الصلاح والفساد في المجتمع يتبع صلاح أنظمته وفسادها ، وهي عوامل تساعد على بناء الفرد وهدمه ، لأن الفرد هو الذي يسعد بصلاح النظام ، ويشقى بفساده .

وإذا تحدثنا عن المجتمعات السابقة للإسلام نجد أن هذه المجتمعات اتسمت بالفوضى والهمجية واللصوصية والاضطراب ، كما ساد فيها السلب والنهب والقتل ، فأصبحت الدنيا أشبه بغابة واسعة يفترس فيها القوي الضعيف ، ولا أجد أصدق وصفاً لأحوال الجزيرة العربية قبل الإسلام من حديث جعفر بن أبي طالب للنجاشي حيث صور له الحياة الجاهلية تصويراً حقيقياً على ما هي عليه إذ قال :

" يا أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته ، ...."[1] .

---

(١) سيرة ابن هشام ، ج١ ، ص٣٩٨ .

فكل عبارة من عبارات هذا الحديث تصور نوعاً من أنواع الظلم في الجاهلية ، كما أن السيرة النبوية تبين أن سبب هجرة الحبشة هو التخلص من الظلم الذي كان في الجاهلية ، حيث أن الرسول ﷺ لما رأى ما يصيب أصحابه قال لهم : ((لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه))[٢].

وأما الإمبراطوريات المجاورة للجزيرة العربية فقد سادها ظلم وفساد كثير مما دفع أهلها إلى الترحيب بالإسلام عندما أشرق نوره على بلادهم ، لأن المسلمين كانوا أرحم بهم من الأكاسرة والقياصرة ، ولأنهم أصحاب وفاء وسيرة حسنة .

كما أن المجتمعات البشرية في أوربا كانت في حالة خلقية وعقلية سيئة وصلت إلى حد الهمجية . وقد وصف (ولز) – أحد مفكريها – حالة أوربا في نهاية القرن الخامس :" أن الحياة فيها تتقلب في مستوى منخفض جداً ولاسيما في النواحي الجثمانية والعقلية والخلقية ، وقد انحدرت إلى الهمجية في القرن السادس والسابع ، كما أن الحالة في الإمبراطورية الرومانية وصلت إلى حد الانحلال الخلقي المتطرف ، وأما الحالة الاجتماعية في أوربا فكانت في حالة فوضى ، وقد كان ذلك العصر عصر مجاعة ووباء ، لا قانون فيه ولا إدارة ، وكان الزمان زمان فوضى وجرائم، تذهب دون عقاب بل هو منعدم تماماً[١] .

---

(٢) سيرة ابن هشام ، ص٣٣٠ .

(١) معالم تاريخ الإنسانية ، ولز ، ج٣ ، ص٥٨٧ .

وقد وصفت أيضاً أحوال المجتمع الأولى بأنها أطبق عليها ليل حالك من القرن الخامس إلى القرن العاشر ، وكان هذا الليل يزداد ظلاماً وسواداً ، وقد كانت همجية ذلك العهد أشد هولاً ، وأفظع من همجية العهد القديم ، لأنها كانت أشبه بجثة

حضارة كبيرة قد تعفنت ، وقد انطمست معالم هذه الحضارة ، وقضى عليها بالزوال ، وقد كانت الأقطار الكبيرة التي ازدهرت فيها هذه الحضارة ، وبلغت أوجها في الماضي ، كإيطاليا وفرنسا ، فريسة الدمار والفوضى والخراب(٢) .

وبالجملة فقد اتسمت المجتمعات البشرية في القرن الخامس والسادس بالظلام المطبق ، والشر المستطير ، في جميع النواحي الاجتماعية والإنسانية ، وما ذلك إلا لغياب وحي السماء الذي ينظم حياتهم ، ويضبط سلوكهم ، حتى أصبح الناس بأمس الحاجة إلى نور لهذا الظلام يوجه الشعوب إلى السعادة والرشاد ، فجاء نور الإسلام الذي أوجد الله به خير أمة أخرجت للناس .

وعلى ضوء ما سبق فإن الدعوة الإسلامية ذات رسالة تهدف إلى قيادة الحياة الإنسانية ، وتوجيهها إلى معرفة الله سبحانه وتعالى وعبادته ، والرضا بحكمه ، ولابد لهذا الهدف أن يرتفع على المجتمع البشري ، قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن

(٢) السيرة النبوية ، أبو الحسن الندوي ، ص١٨ .

لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً ﴾ النساء : ١٠٥ .

وإذا كانت الغاية من الدعوة إخراج الناس من الظلمات إلى النور فلابد لأنظمتها من الهيمنة على المجتمع البشري في جميع نواحيه . قال تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾ النساء : ٦٥

وقد كان لنظام الإسلام أكبر الأثر على العالم حيث بدد الظلام ، ورسم طريق السعادة ، وأنار السبيل أمام السالكين ، مما ألهج ألسنة الناس بالاعتراف بهذا الجميل الذي قدمه الإسلام وأنظمته للبشرية جمعاء .

وقد شهد بذلك الكاتب الروسي تولستوي[١] ، بقوله : " مما لا ريب فيه أن النبي محمداً كان من عظام الرجال المصلحين ، الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة ، ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق ، وجعلها تجنح للسكينة والسلام ، وتؤثر عيشة الزهد ، ومنعها من سفك الدماء ، وتقديم الضحايا البشرية ، وفتح لها طريق الرقي والمدنية ، وهو عمل عظيم لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة ... ورجل مثل هذا جدير

(١) تولستوي : هو الكونت ليون تولستوي المتوفى سنة ١٨٤٤م ، كان يسكن في بلدة صغيرة في وسط روسيا ، ونشأ جندياً ثم اشتغل بإصلاح الهيئة الاجتماعية ، وقد تصدى لقادة الأديان ، كما جاهر الحكومة الروسية بما يضمر لها الشعب ، وقد صادرت مؤلفاته ، وكان يرى أن نجاة العالم في أن يكون مسيحياً بالمعنى الإنجيلي الخالص . دائرة معارف القرن العشرين ، ج١ ، ص٧٠٣ . .

بالاحترام والإكرام "[١] .

وقد وصف وليم موير في كتابه سيرة محمد ، قال : " امتاز محمد ﷺ بوضوح كلامه ، ويسر دينه ، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول ، ولم يعهد التاريخ مصلحاً أيقظ النفوس ، وأحيا الأخلاق ودفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد "[٢] .

فهذه دعوة الإسلام تتمثل في هذه الجوانب الكريمة للنبي ﷺ والتي تدعو إلى العقيدة السليمة ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم، وحسن الجوار ، والبعد عن المحرمات ، واجتناب الفواحش ، وهذه هي مقومات المجتمع السليم .

وعلى كل حال فنستطيع القول بأن المجتمع الإسلامي قد منحه الله بالإسلام منهجاً كاملاً ، ونظاماً شاملاً ، وتشريعاً متكاملاً ، تتعاون روافده كلها على تكوين الشخصية الإنسانية المثالية ، وعلى إقامة المجتمع الفاضل، وعلى نشر الحق والعدل ، والحرية والمساواة بين الناس ، فاستطاع إنفاذ البشرية مما كانت تعانيه من حيرة واضطراب ، وأعطى الإنسان فوق ما كان يأمل ، وقد طبق هذه الأنظمة والقواعد على مر التاريخ تطبيقاً عملياً[٣] .

---

(١) القرآن والمجتمع الحديث ، عبد الرازق نوفل ، ص٢٨ .
(٢) سيرة محمد ، وليم موير ، ص٢٨ .
(٣) الإسلام وحقوق الإنسان ، محمد خضر ، ص٥ .

وما جرى على المجتمعات الإسلامية الآن العناء إلا تخليها عن كتاب ربها ، وتفريطها في هدي نبيها ﷺ ، ولن تعود لها عزتها الأولى إلا بالعودة مرة أخرى إلى تحكيم الإسلام في حياتها .

المبحث الثالث
الشمول في دعائم المجتمع الإسلامي
المطلب الأول
إزالة الفوارق الطبيعية من المجتمع المسلم

إن العقيدة الإسلامية هي الأساس الذي يبنى عليه المجتمع الإسلامي، وقد هدمت هذه العقيدة الأسس الجاهلية التي قامت عليها المجتمعات البشرية السابقة ، ولا ترضى بالنزاعات القومية ، والنعرات الجنسية ، وإنما المبدأ السامي عندها أن الناس أمة واحدة كلهم لآدم ، وآدم من تراب.

يقول ﷺ في تقرير هذا المبدأ في خطبة الوداع : ((يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد ، ألا إن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ألا لا فضل لأسود على أحمر إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد الغائب))[1] . قال تعالى : (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين) الروم:٢٢.

وإن اختلاف اللغات والأجناس والألوان آيات دالة على قدرة الخالق جل وعلى .

وقد حارب الإسلام العصبيات وجعلها من دعوى الجاهلية ، فليست من الإسلام في شيء ، قال ﷺ : ((إن الله عز وجل قد أذهب عنكم

---

(١) الوفا بأحوال المصطفى ، ابن الجوزي ، ج٢ ، ص١٣٨٦ .

عبية[١] الجاهلية وفخرها بالآباء ، مؤمن تقي ، وفاجر شقي ، والناس بنو آدم ، وآدم من تراب ، لينتهين أقوامهم فخرهم رجال أو ليكونن أهون عند الله من عدتهم من الجعلان التي تدفع بأنها النتن))[٢] .

وقد جعلت الدولة الإسلامية الأخوة عقيدة ثابتة يجب الإيمان بها ، وليست أمراً ثانوياً ، ولقد حل محل العصبيات في المجتمع المسلم قول الرسول ﷺ : ((أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً))[٣] .

فنصرة الظالم بمنعه عن ظلمه ، ونصرة المظلوم بمساعدته للوصول إلى حقه ، فالإسلام لم يحارب نوعاً من العصبيات بعينها ، وإنما حاربها بجميع أشكالها ، فالهدف الوصول إلى الحق ، ومحاربة الباطل ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل : ٩٠ .

وجعل التفاوت بين البشر بالتقوى وليس باللون أو المولد أو الجنس أو النسب .

وبهذه القواعد السليمة ، والنظم الحكيمة ، قضى الإسلام على نظام

---

(١) عبية : العبي الجافي وهو وصف للجاهلية . لسان العرب ، ابن منظور ، ج٩ ، ص٢٨ .
(٢) المسند ، الإمام أحمد بن حنبل ، ج٢ ، ص٣٦١ .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب المظالم ، ج٣ ، ص١٦٨ .

الطبقات الذي أفسد المجتمعات البشرية السابقة ، وفتح الطريق أمام الناس لينال كل واحد منهم حقه ، وبدد كابوس الظلم عن أعناق الفقراء والمساكين الذين حطمتهم أنظمة الجور والضلال ، وغرس في نفوسهم روح المساواة ونزع روح التفرقة والاستعلاء .

فالحدود في الإسلام تقام على الجميع ليس هناك فرق بين حاكم ومحكوم وبين أمير وسوقة ، الكل أمام القانون سواء ، فمن استحق العقاب عوقب .

وقد حاول أسامة بن زيد أن يشفع في حد ثبت على مخزومية عند رسول الله ﷺ ، فغضب رسول الله ﷺ وقال له : ((أتشفع في حد من حدود الله ، ثم قام فخطب ، وقال : ((يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها))[1] .

وقد سلك الخلفاء الراشدون نفس الأسس التي أقام عليها رسول الله ﷺ مجتمعه الأول .

وبعد هذا العرض لما قامت به الدعوة الإسلامية من تأصيل قاعدة المساواة في المجتمع الإسلامي ، يقودنا لننظر في المجتمعات السابقة والمجتمعات الحديثة التي تخلت عن الإسلام ، وعادت لما كانت عليه الجاهلية الأولى ، فالمجتمعات السابقة تغلغلت فيها فكرة الطبقية ،

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، ج٨ ، ص١٩٩ .

وسيطرت عليها العنصرية ، فكان المجتمع الفارسي يقوم على أساس طبقي حيث أسس على اعتبار النسب والحرف ، وكان بين طبقات المجتمع هوة واسعة لا يمكن وصلها . فقد كانت الحكومة تحظر على العامة أن يشتري أحد منهم عقاراً لأمير أو كبير ، وكان من قواعد السياسة عندهم أن يقنع كل واحد بمركزه الذي منحه نسبه ، ولا يتطلع لما فوقه ، وليس لأحد أن يتخذ حرفة غير الحرفة التي خلقه الله لها . ولم يكن المجتمع الهندي أسعد حظاً من المجتمع الفارسي ، فقد وصف الشيخ أبو الحسن الندوي المجتمع الهندي حينذاك بقوله : " وامتازت الهند من بين جاراتها وأقطار العالم بالتفاوت الفاحش بين الطبقات ، والامتياز بين الإنسان والإنسان ، وكان نظاماً قاسياً ، لا هوادة فيه ولا مرونة ، مدعماً بالدين والعقيدة ، خاضعاً لمصلحة الآريين المحتلين ، والبراهمة المحتكرين ، للديانة والقداسة ، قائماً على أساس الحرف والصنائع وثرواتها ، والعنصرية والسلالية ، وكان ذلك تابعاً لقانون مدني سياسي ديني ، وضعه المشرعون الهنود ، الذين كانت لهم صفة دينية ، أصبح القانون العام ، ودستور الحياة "[١] .

ثم نأتي إلى الديانة اليهودية ، فنجدها تجعل الشعب اليهودي شعباً مختاراً مفضلاً على كل الشعوب في الدنيا قاطبة ، وأن يهود اختارهم لأنه أحبهم واصطفاهم . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل قسمت اليهودية الشعب إلى طبقات ، فباركت أبناء يعقوب ، ولعنت أبناء أخيه الأكبر عيسو[٢] .

---

(١) السيرة النبوية ، أبو الحسن الندوي ، ص١٥ .
(٢) الإسلام ، أحمد شلبي ، ط٥ ، ١٩٧٧م ، ص١٨ .

كما ساد في الديانة اليهودية التفريق بين الأجناس البشرية ، إلى حد لا يتصوره العقل البشري حيث جعلت المبادئ الإنسانية (مثل الرحمة والإخاء والعطف والمودة) مقصورة على اليهود فيما بينهم دون سواهم وأباحت الربا مع غير اليهود ، وحرمته فيما بينهم .

وقد جاءت على أثرها المسيحية لتخفف من جشع اليهودية وماديتها وتحث الناس على الصدقة ورعاية المحتاجين ، والزهد في الدنيا ، ولكنها ما لبثت فترة من الزمن بعد رفع المسيح حتى تغيرت على يد رجال الكنيسة، وأقرت الطبقات بين أفراد المجتمع وأوجدت الميز العنصري بين طبقة وأخرى ، وشعب وآخر ، وفصلت الدين عن الحياة ، وقامت الكنائس بدعم الباطل ، وسايرت الحكام العابثين المفسدين ، وأصدرت لهم الفتاوى بإباحة الشهوات واللذائذ ، وجعلت منهم طبقة تسموا على الطبقات الأخرى[١]

هذه هي نظرة الأديان والعقائد السابقة ، أما حضارة اليوم الزائفة ، فقد حطمت قيود الدين ، وتعددت حدوده ، وما يزال ، بين الناس على أساس الجنس واللون ، ففي أمريكا ينتشر التميز العنصري بين البيض والسود ، فللبيض كنائسهم الخاصة بهم كما أن للسود كنائسهم الخاصة بهم، وقد صادف أن دخل رجل أسود في إحدى كنائس البيض ، فما أن شاهده القسيس حتى أرسل له ورقة يبين فيها عنوان كنيسة السود[٢] .

---

(١) الخصائص العامة للإسلام ، يوسف القرضاوي ، ط١ ، ١٣٩٧ ، ص٩٧ .
(٢) المرجع نفسه ، والصفحة .

إن هذه العصبية البغيضة ، والطبقية المهينة ، عملت على تحطيم الإنسانية ، وإذلال البشرية ، حتى أصبح العامة لا حل لهم ولا رباط ولا قيمة أمام الأفراد والحكام ، فهم أشبه بالجمادات الساكنة .

إن حضارة اليوم وإن حلقت في آفاق الكواكب ، وتمكنت من دفع الإنسان إلى القمر ، فهي لا زالت غارقة في الطين غائصة في المستنقعات، لأنه ليس من الحضارة التمييز بين لون ولون وجنس وجنس ، وليس من الحضارة رفع الأغنياء وتحطيم الفقراء ، وإنما الكل سواء أمام الله تعالى والقانون .

المطلب الثاني
شمول الإسلام للتكافل الاجتماعي

حرص الإسلام على إقامة مجتمع سليم البناء ، قويم الأركان ، تتجسد فيه الأخوة الصادقة ، وتذلل الصعاب أمام أفراده ، فهم كالجسد الواحد كما قال ﷺ : ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[١].

فأحاسيس المسلمين متحدة ومشاعرهم متساندة وغاياتهم واحدة هي تحقيق السعادة والأمن للمجتمع ، قال ﷺ : ((المسلمون كرجل واحد إن اشتكت عينه اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله))[٢] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، ج٤ ، حديث رقم ٢٥٨٦ .
(٢) المرجع نفسه ، ج٤ ، حديث رقم ٢٥٨٧ .

والتكافل نوعان :-

(أ) تكافل روحي .

(ب)تكافل مادي .

(أ)**التكافل الروحي** : يتمثل في التواصي على صيانة الأخلاق وحماية الفضيلة وحراسة مبادئ الإسلام جملة وله مظاهر ثلاثة :-

١-التكافل بين الفرد ونفسه .

٢-التكافل بين الفرد وأسرته .

٣-التكافل بين الفرد ومجتمعه .

أما التكافل بين الفرد ونفسه ، فيظهر في أن يلزم الإنسان نفسه طريق الهدى ، ويحميها من أسباب الردى ، لكي يفوز بالدنيا والآخرة ، وبذلك يكون قد حمى نفسه مما يرديها . قال تعالى : ﴿ فأما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى ﴾ النازعات : ٣٧-٤١ .

وقد رسم المولى عز وجل للإنسان طريق الصلاح والفلاح ، وبين له طريق الهوى والضلال ، فقال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ الشمس : ٧،٨ .

قال تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ البلد : ١٠ .

وحذر من الوقوع في المهالك ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة : ١٩٥ .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ التحريم : ٦ . وأما مظهر التكافل الروحي بين الفرد وأسرته: فيتمثل في إحاطة الرجل بأحكام الشريعة ، والمحافظة عليها في جو الأسرة وتربيتها على مبادئ الدين والأخلاق [١] . يقول عليه أفضل الصلاة والسلام : ((كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ، فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته))[١]

والراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه ، وما هو تحت نظره كما قال العلماء[٢] . فرب الأسرة مطالب برعاية أسرته ، وتدبير أمورهم ، وحسن معاشرتهم ، وتربيتهم تربية صالحة لكي يكونوا لبنات صالحة في المجتمع ، فإذا ما تحققت هذه الرعاية على هذه الأسس القويمة التي رسمها الإسلام ، تحققت سعادة المجتمع ، وأما إذا أهملت أصبحت الأسرة فريسة للشقاء والتعاسة ، والمسلم مسئول عن ذلك أمام الله تعالى .

---

(١) العدالة الاجتماعية ، سيد قطب ، ص٦٣ .
(١) فتح الباري من صحيح البخاري ، أبن حجر ، كتاب العتق ، ج٥ ، ص١٨١ .
(٢) المرجع نفسه ، ج١٣ ، ص١١٢ .

فالإسلام أهتم بالأسرة لمكانتها وخطورتها في النظام الاجتماعي ، فهي المهد الذي يتربى فيه الطفل وهو أساس استقامته أو انحرافه .

ويكون التكافل بين الفرد ومجتمعه : إذا كان الفرد هو اللبنة الأولى في بناء المجتمع ، فلابد لسلامة البناء أن يتم التعاون والتكافل بين أفراده في جميع نواحي الحياة الإنسانية ، والتعاون من الفرد المسلم يظهر في أنه جندي حارس لأخلاق المجتمع ، وحمى الأمة ، وراع يرعى حقوقها وتعاليم دينها . قال ﷺ : ((كل رجل من المسلمين على ثغرة من ثغر الإسلام الله الله ، لا يؤتى الإسلام من قبلك))[٣] .

لابد للفرد المسلم أن يجعل من نفسه حارساً أميناً للدين وداعية قوياً إلى الحق ، يعمل على إزالة المنكر ، وإشاعة المعروف . كما قال ﷺ : ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان))[١] .

كما أن الجماعة جنود أمناء لحماية الخير وتشجيع أهله ووقف الشر ومعاقبة أربابه ، قال عليه أفضل الصلاة والسلام : ((مثل القائم على حدود الله ، والواقف فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : " لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ

---

(٣) السنة ، محمد بن نصر المروزي ، ص٨ .
(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، ج١ ، ص٦٩ .

من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعاً))[٢] .

فلابد من التعاون لتحقيق صالح الأمة ، وتحقيق السعادة لها ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ المائدة : ٢ .

وقد أشار القرآن الكريم إلى بني إسرائيل ، وذكر بأنهم استحقوا اللعنة على لسان أنبيائهم ، وذلك لأنهم لم يعملوا على تغيير المنكر ، ولم يتناهوا عنه فيما بينهم . قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ المائدة : ٧٨ ، ٧٩ .

ومن مظاهر التكافل الروحي بين الجماعة ، تشجيع الإلفة والاتحاد بين أفراد المجتمع وتحذيره من عوامل الفرقة والبغضاء ، فالمجتمع المسلم يتسم بقوة الروابط بين أفراده ، والعمل على تحمل المسئولية ، والنهوض بأعباء الحياة على سواء .

---

(٢) فتح الباري من صحيح البخاري ، ابن حجر ، كتاب الشركة ، ج٥ ، ص١٣٢ .

(ب) **التكافل المادي** : حرص الإسلام على إسعاد المجتمع ، وتحقيق الرفاهية لأفراده ، وتدعيم أسس الأخوة بينهم ، ومحاربة الطبقية التي تولد الأحقاد والخصومات ، وتسبب التفكك والوهن في جسم المجتمع ، وقد سلك لتحقيق ذلك سبلاً منها ما يتعلق بمسئولية الفرد والمجتمع ، ومنها ما يتعلق بمسئولية الدولة .

أولاً : النفقة الإلزامية في نطاق الأسرة ، وتشمل نفقة الرجل على نفسه وعلى زوجته وأولاده وآباءه المحتاجين وعلى أقاربه العجزة ....

يقول عليه أفضل الصلاة والسلام : ((ابدأ بنفسك فتصدق عليها ، فإن فضل شيء فلأهلك ، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك ، فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا يقول فبين يديك ، وعن يمينك وعن شمالك))[1] .

وهنا تظهر صورة الإسلام المشرقة حيث يلزم الرجل بالنفقة على أهله وأسرته ، فالولد مكلف بالإنفاق على والديه ، والوالد مكلف بالإنفاق على عياله ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يتعداه إلى الأقربين ، ويجعل ذلك حقاً لهم .

كما قال تعالى : ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الروم : ٣٨ .

---

(١) سنن النسائي ، ج٥ ، ص٥٢ .

ثانياً : النفقة الإلزامية في نطاق المجتمع : فالزكاة هي ركن من أركان الإسلام ، وفريضة محكمة ، فرضها الله على الأغنياء من أجل سد النقص في بعض جوانب المجتمع ، فهي تزيل الآلام عن المحتاجين وتسدل على المجتمع ظلال الرحمة والمودة ، وهي تشمل جميع أنواع الأموال ، من النقود بأنواعها والأنعام والزروع والثمار ، وعروض التجارة والمعادن.....إلخ .

وتؤخذ الزكاة من رأس المال الفائض عن حاجة الإنسان وعياله ما عدا الزرع فإنها تؤخذ من غلته لا من رأس ماله . وتصرف الزكاة وفقاً لما جاء في الكتاب ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة : ٦٠ .

ولحرص الإسلام على حق الفقراء وأصحاب الحاجات جعل لهم نصيباً مفروضاً من الزكاة والجزية والخراج والفيء والغنائم ، وكل ذلك من أجل توزيع المال توزيعاً عادلاً .

فالإسلام استطاع بأنظمته وقوانينه أن ينزع من المجتمع بذور الفرقة والتفاوت ، وأن يجعل الناس كالجسد الواحد ، فهو لا يرضى أن تعيش طبقة في مستوى الترف والبذخ ، وتعيش أخرى في مستوى الفاقة والحرمان ، وقد حذر الرسول ﷺ من ذلك بقوله : (أيما أهل عرصة أصبح

فيهم امرؤ جائع برئت منهم ذمة الله تعالى)[1] .

هذه هي نظرة الإسلام التكافلية ، ولما خرجت المجتمعات الحديثة عن أنظمة الإسلام واستبدلت بها أنظمة وضعية غير صحيحة ، انعدمت الصلات بين أبنائها وإن وجدت فإنها تقوم على تبادل المصالح المشتركة ، واستيفاء الأجور ، وأما الإيثار والتضحية فهي أمران معدومان ، فالفرد يعيش على أعصابه ، فإن ضعفت فلا معين له ، وقد تفككت أواصر الأسر حتى انعدمت الروابط بين الأسرة الواحدة ، فالأب غير مسئول عن أولاده وإنما يكلهم إلى حظهم من العيش ، وربما كانوا قاصرين عن الكسب ، وتتمثل هذه الصورة في دول الحضارة الغربية ، فإذا كانت هذه صورة أسرهم فكيف هي حال مجتمعاتهم .

ولهذا تسعى نظم الإسلام إلى حل المشاكل الطارئة في كل عصر من العصور ، وتعمل على موازنة الموارد مع النفقات ، فهي تعمل على سد حاجات المجتمع في كل وقت ، فأنظمة الإسلام تختلف عن الأنظمة الوضعية التي تتصف بقصورها[1] .

---

(١) المسند ، الإمام أحمد ، ج٢ ، حديث رقم ١٣٩٨ ، ص٣٣ .

(١) النظام المالي وتداول الثروة في الإسلام ، محمد مهدي الآصفي ، ص٢١٢ .

المطلب الثالث
مكانة المرأة التي يشملها النظام الاجتماعي

من النظرة الشمولية في الإسلام شموله لكل ما يتعلق بشئون المرأة، وإذا أردنا أن نعرف ذلك لابد أن نشير ولو بإيجاز إلى نظرة المجتمعات السابقة للإسلام لنرى مع شيء من المقارنة أن الإسلام بوأ المرأة مكانة تغبط عليها .

فعند اليونان : بالرغم من تقدم الحضارة في هذه البلاد إلا أنها كانت تعتبر المرأة من سقط المتاع ، فقيمتها دون قيمة الرجل ، ويظهر ذلك من قول أرسطو : " ثلاثة ليس لهم التصرف في أنفسهم ، العبد ليس له إرادة ، والطفل له إرادة ناقصة ، والمرأة لها إرادة وهي عاجزة "(١) .

وقال آخر : " إننا نتخذ العاهرات للذة ، ونتخذ الخليلات للعناية بصحة أجسامنا اليومية ، ونتخذ الزوجات ليلدن الأبناء الشرعيين "(٢) . فأهلية المرأة عند اليونان معدومة ، وشخصيتها القانونية مفقودة.

ولم يكن حظ المرأة الرومانية بأسعد من حظ أختها اليونانية ، فقد كانت الأنظمة الرومانية تمكن ولي أمر المرأة منعها من الزواج إذا لم يكن موافقاً، كما أنه ليس لها الحق المطالبة بإرث مال زوجها ، كما أن للزوج

---

(١) قصة الحضارة ، و.ل.ديورانت ، ج٦ ، ص١٨ . انظر أيضاً تنظيم الإسلام للمجتمع، محمد أبو زهرة ، ص٦ .
(٢) فجر الإسلام ، أحمد أمين ، ص١٠٩ .

حق حرمانها من إرثه إن شاء[٣] .

وأما المرأة في الجاهلية ، فقد كان عرب الجاهلية يكرمون المرأة في نواح ويمتهنونها في نواح أخرى ، وكانت بعض النساء العربيات يتميزن في الجاهلية بالعفة والفصاحة ، وحسن التربية لأبنائهن ، حتى أن الجاهلي كان أول ما يفكر فيه هو اختيار الزوجة الطيبة لنجابة الأولاد ، وكان العربي يمن على أولاده بحسن اختياره لأمهم .

وأما المظالم التي لحقت المرأة في الجاهلية فكثيرة ومتعددة ، وقد أشار القرآن الكريم إلى بعضها ، فكثير من القبائل العربية كانت تعتبر المرأة أداة شر وتتطير لمجيئها ويتشاءمون لمولدها ، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى ذلك في كتابه العزيز إذ قال : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ النحل : ٥٨ ، ٥٩ .

وقد فشا وأد البنات بين القبائل العربية وخاصة بني تميم وبني أسد ، وقد قيل أن رجلاً واحداً اسمه قيس بن عاصم المنقري وأد بضع عشرة من بناته في الجاهلية ، فلما أسلم قال يوماً للنبي ﷺ : " إني وأدت اثنتي عشرة بنتاً " ومع أن الإسلام يجب ما قبله ، ولكن النبي ﷺ أعظم منه هذا الفعل

(٣) المرأة من خلال الآيات القرآنية ، عصمت الدين كركر ، ص٢٧ .

وقال له : ((أعتق عن كل واحدة نسمة))[1] .

لقد انتشرت عملية الوأد في الجاهلية ، وكان الدافع إليها خشية العار والفقر وقد تبرأ الإسلام من هذا الفعل الشنيع ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ*بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾ التكوير : ٨ ، ٩ .

وبعد أن ظهرت الصورة التي كانت عليها المرأة في بعض المجتمعات السابقة نبين موقف الإسلام من المرأة : الحقيقة التي يجب أن يعلمها كل إنسان على وجه الأرض ، أن الإسلام قد رفع من شأن المرأة وأزال المظالم التي لحقت بها على يد المجتمعات الجاهلية الأولى ، فوضع نظاماً عاماً وشاملاً يحمي المجتمع من الفوضى والاضطراب والضياع . ونورد الآن ما قام به الإسلام تجاه هذه المخلوقة الضعيفة :

أولاً : قرر الإسلام أن المرأة إنسان ، وهي شقيقة للرجل وأنها من أسس مقومات الإنسانية ، من حيث بقاء النوع الإنساني وتربية الأجيال الصالحة . يقول سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ : " والله إنا كنا في الجاهلية ، ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل ، وقسم لهن ما قسم "[1].
وقد قرر القرآن الكريم ذلك في مثل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ

(١) أسد الغابة لمعرفة الصحابة ، ابن الأثير ، ج٤ ، ص٤٣٣ .
(١) صحيح مسلم ، كتاب الطلاق ، ج٢ ، ص١١٠٨ .

أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات : ١٣ .

فأصل الخلق من ذكر وأنثى ، وهما سواء ليس لأحدهما فضل على الآخر من حيث الخلق ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ النساء : ١ .

ويقول الرسول ﷺ مقرراً لهذه الحقيقة كما روته السيدة عائشة : ((إنما النساء شقائق الرجال))[٢] .

ثانياً : قرر الإسلام أن على النساء ما على الرجال من الواجبات والفرائض لا فرق بين الذكر والأنثى إلا ما كان من بعض الأحكام الخاصة بها في أيام حيضها ونفاسها .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ الأحزاب : ٣٥ .

ثالثاً : قرر الإسلام أن مسئولية المرأة مستقلة عن مسئولية الرجل

---

(٢) المسند ، الإمام أحمد بن حنبل ، ج٦ ، ص٢٥٦ .

فلا ينفع صلاح الرجل زوجته إذا فسدت ، ولا ينفع صلاح المرأة الزوج إذا فسد ، فلكل واحد منهما مسئوليته الخاصة عن عمله قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿ ١٠ ﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿ ١١ ﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ التحريم : ١٠-١٢ .

ومن أجل هذا ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الجزاء والثواب على الأعمال في الدار الآخرة . وقال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ النحل : ٩٧ .

رابعاً : أشرك الإسلام المرأة في النشاط الاجتماعي لبناء المجتمع وإقامة الحياة ، وذلك فيما يناسبها من أعمال بعيدة عن الاختلاط والتبرج . قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة : ٧١ .

فهذه الآية تثبت قيام المرأة بأعمال الخير مع الرجال كما تثبت للمرأة حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ما دام ذلك يتم في حدود الفضيلة وضوابط الأخلاق .

خامساً : أباح الإسلام للمرأة المسلمة أن تجير الأعداء ، فها هي أم هانئ تجير يوم فتح مكة رجلين من أحمائها ، وتخبر الرسول ﷺ بذلك فقال عليه الصلاة والسلام : ((قد أجرنا من أجرت وأمنّا من أمنّت فلم يقتلهما))[١].

سادساً : قرر الإسلام للمرأة حق التعليم ، وقد ثبت أن الشفاء بنت عبد الله المهاجرة القرشية العدوية ، كان النبي ﷺ يأتيها ويقيل عندها ، وطلب منها أن تعلم حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنها رقية النبل ، كما علمتها الكتابة[٢] .

كما سجل التاريخ ما قامت به النساء من دور عظيم في رواية الحديث والفقه والشعر ، كما كانت أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها . قال عروة بن الزبير : " ما رأيت أحداً أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة"[٣] . وقال ﷺ : ((أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها ، فأحسن

(١) السيرة النبوية ، ابن هشام ، ج٤ ، ص٨٦٩ .
(٢) أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، عمر رضا كحالة ، ج٢ ، ص٣٠١ .
(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ابن الأثير ، ج٧ ، ص١٩١ .

تعليمها ، وأدبها فأحسن تأديبها ، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران))[1] . وقال أيضاً : ((طلب العلم فريضة على كل مسلم))[2] . ويدخل في هذا الحديث المسلمة باتفاق العلماء .

سابعاً : منح الإسلام المرأة حق التملك ، بخلاف ما كانت عليه في الجاهلية ، وفي غيرها من الأمم السابقة ، وجعل لها حق التصرف المستقل في الأشياء التي تملكها ، وجعل لها حق الولاية على مالها ، وأباح لها إبرام العقود متى بلغت من الرشد قال تعالى : ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً ﴾ النساء : ٦ .

وقال الشيخ محمد عبده : " هذه الدرجة التي رفع الإسلام النساء إليها، لم يرفعهن إليها دين سابق ، ولا شريعة من الشرائع ، بل لم تصل إليها أمة من الأمم قبل الإسلام ولا بعده ، وهذه الأمم الأوربية التي كان من تقدمها في الحضارة والمدنية ، أن بالغت في تكريم النساء ، واحترامهن ، وعنيت بتربيتهن وتعليمهن العلوم والفنون ، لا تزال قوانين بعضها تمنع المرأة من حق التصرف في مالها بدون إذن زوجها ، وغير ذلك من

(١) فتح الباري من صحيح البخاري ، ابن حجر ، كتاب النكاح ، ج٩ ، ص١٢٦ .
(٢) سنن ابن ماجة في المقدمة ، ج١ ، ص١٧ .

الحقوق التي منحها إياها الإسلام من نحو ثلاثة عشر قرناً من الزمان"[٣].

ثامناً : جعل الإسلام للمرأة حق الميراث . قال تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً ﴾ النساء : ٧ .

وجعل صداقها حقاً لها ليس لأحد أن يشاركها فيه ، أو يأخذ منها كما كانت العادة في المجتمعات السابقة . قال تعالى : ﴿ وَآتُواْ النِّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً ﴾ النساء : ٤ .

فلا يحق لأحد من أوليائها أن يأخذ منه شيئاً ولا أن يهبه لزوجها .

(٣) حقوق النساء في الإسلام ، محمد رشيد رضا ، ص٣١،٣٢ .

الخاتمة وبها النتائج والتوصيات

الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ، ويدفع نغمه ، ويكافئ مزيده ، أحمده تعالى على توفيقه لي بإتمام هذا البحث وإخراجه إلى حيز الوجود ، وأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت لعرض هذا الموضوع عرضاً يفيد القارئ ، وأن أكون قد سددت وقاربت في الوفاء بالمطلوب ، لكي يكون هذا البحث بحثاً علمياً مستوفي لما تضمنه من موضوعات ، وأسجل ما توصلت إليه من النتائج في النقاط التالية :-

- أولاً : إن الله تعالى أودع الدعوة الإسلامية من الخصائص والمزايا ما يضمن لها الخلود والبقاء إلى قيام الساعة ، بحيث لم تتوافر مثل هذه المزايا لغيرها من الدعوات .
- ثانياً : إنه لا يوجد على وجه الأرض كتاب تصح نسبته إلى السماء غير القرآن الكريم ، وأنه كتاب الله حقيقة ، لا يتطرق إليه شك ولا تدخله ريبة ، وقد تم تدوينه حين نزل ، كما جاء به الوحي الأمين ، وسيظل محفوظاً في الصدور والسطور ، وتتلقاه الأمة جيلاً بعد جيل ، إلى أن يرث الله الأرض من عليها إن شاء الله تعالى .
- ثالثاً : إن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية شاملة لكل مناحي الحياة، فهي حق مشاع وثروة مشتركة لكل الأمم على مختلف الأزمنة والأمكنة ، وأن النبي ﷺ بعث إلى البشرية في وقت اشتدت الحاجة فيه إلى منقذ وذلك بسبب ميل الناس وبعدهم عن الحق وغياب المعالم الصحيحة للأديان السماوية السابقة ، بسبب ما أصابها من تحريف وتبديل ، وقد أثبت القرآن الكريم عالمية هذه الدعوة

وشمولها بإعلانه الفريد (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) فهو إعلان تشمل مساحته الزمنية جميع الأجيال ومساحته المكانية تسع العالم كله ، فهو ليس رحمة لجزيرة العرب كما زعم أصحاب الأهواء والميول من أعداء الإسلام ، الذين كتبوا كتبهم وأخرجوها للعالم لتحقيق أهدافهم ، من غير تحقيق علمي ولا سند تاريخي ، وكلها ادعاءات بعيدة عن الحق والصواب .

- رابعاً : لما كانت الدعوة الإسلامية دعوة عالمية في الزمان والمكان ، جاءت أنظمتها شاملة لجميع شؤون الحياة ومتطلباتها في كل زمان ومكان فهي تشمل أمور العقيدة والعبادة وما يتفرع عنهما من أنظمة الحياة .

كما يظهر من الدراسة أن الإسلام أهتم بالفرد والمجتمع ، وجعل بناءها على أساس متين من العقيدة الصحيحة والتشريع الحكيم الذي تذوب في ظله كل الفوارق الطبقية ، وتزول النعرات الجنسية ، ويرجع الناس كلهم إلى أصل واحد .

- خامساً : أهتم الإسلام بالمرأة وحفظ لها حقوقها الشخصية والمالية والزوجية ، وحفظ لها كرامتها ورعاها وحفظ لها شرفها وعفافها ، بخلاف مكانتها في ظل المجتمعات السابقة واللاحقة فهي دون ذلك بكثير .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ... وصلي اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

التوصيات :-

١ – لابد لكل داعي أن يتأسى بالنبي ﷺ في دعوته في كل زمان

ومكان .

٢- على كل مسلم حماية الداعي إلى الله والشد من أزره .

٣- على الداعي أن يكون ثقته بالله كبيرة ويتحلى بالصبر والخلق الحسن .

٤- الدعوة الإسلامية ليست مقصورة على النبي ﷺ وصحابته وحدهم ، بل تشمل كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ولذلك لابد له أن يتحمل مسؤوليتها ولا مفر ولا مناص له من القيام بها .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
١-سنن ابن ماجة
٢-سنن الدار قطني
٣-سنن النسائي
٤-صحيح الإمام البخاري
٥-صحيح الإمام مسلم
٦-مسند الإمام أحمد بن حنبل
٧-أساس البلاغة ، الزمخشري ، دار صادر ، بيروت .
٨-القاموس المحيط ، الفيروز أبادي ، ط٢ ، دار الجيل ، بيروت .
٩- لسان العرب ، ابن منظور ، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
١٠- المعجم الوسيط ، إبراهيم أنيس ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت
١١- معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت .
١٢- السيرة النبوية ، ابن هشام الأنصاري .
١٣- السيرة النبوية ، أبو الحسن الندوي .
١٤- سيرة محمد ، وليم موير .
١٥- الوفا بأحوال المصطفى ، ابن الجذري .

١٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ابن الأثير ، دار الفكر ، القاهرة .
١٧- أصول السرخسي ، السرخسي .
١٨- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام ، عمر رضا كحالة
١٩- الإسلام ، أحمد شلبي .
٢٠- الإسلام وحقوق الإنسان ، محمد خضر .
٢١- تفسير المنار ، محمد رشيد رضا .
٢٢- تنظيم الإسلام للمجتمع ، محمد أبوزهرة .
٢٣- حقوق النساء في الإسلام ، محمد رشيد رضا .
٢٤- الخصائص العامة للإسلام ، يوسف القرضاوي .
٢٥- خلفاء الرسول ﷺ ، خالد محمد خالد .
٢٦- السنة ، محمد بن نصر المروزي .
٢٧- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، ابن تيمية.
٢٨- فجر الإسلام ، أحمد أمين .
٢٩- القرآن والمجتمع الحديث ، عبد الرازق نوفل .
٣٠- قصة الحضارة ، و.ل.ديورانت .
٣١- العدالة الاجتماعية ، سيد قطب .
٣٢- عمر بن الخطاب أصول السياسة والإدارة الحديثة ، سليمان محمد الطماوي ، ط٢ ، دار الفكر ، القاهرة .
٣٣- الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، دار صادر ، بيروت .
٣٤- المرأة من خلال الآيات القرآنية ، عصمت الدين كركر .
٣٥- معالم تاريخ الإنسانية ، ولز .

٣٦- النظام المالي وتداول الثروة في الإسلام ، محمد مهدي الآصفي .
٣٧- هذه الدعوة ما طبيعتها ، عبد الله ناصح علوان ، ط١ ، دار السلام ، بيروت .
٣٨- دائرة معارف القرن العشرين .